الجثة العنيدة !

مسرحية من سبع مشاهد

بقلم : نديم خشفة

* الى شعبنا العظيم الذي مـزق اكفانه *

*** الاشخاص ***

نبيه
الزوجة
الحشاش
الضيف (شخصية صامتة)
الخادمان : طوطو ، طم طم
السائق : عبدو

المشهد الاول

(نبيه . الزوجة)

نبيه ـ هذا ما اقوله لك .

الزوجة ـ فهمت ولا حاجة بك لاعادته .

نبيه ـ ولكنك لم تظهري أي اشارة تدل على فهمك .

الزوجة ـ ذلك لان الفهم شيء والتنفيذ شيء آخر .

نبيه ـ كوني عاقلة .. هل تريدين أن ننفضح بين الناس ؟

الزوجة ـ لاني لا اريد الفضيحة تراني اخالف نصائحك .

نبيه ـ انه اجراء موقت .. احلف لك بشرفي انه لن يدوم .

الزوجة ـ انا اريد الاشياء الثابتة .. وصلنا الى هذا المركز ، ولا ارضى بالتنازل عنه ليلة واحدة ..

نبيه ـ ولكنها الظروف .. التجارة مثل الميزان ، تهتز كفتاه فيوم لك ويوم عليك .

الزوجة ـ مادام اليوم معنا فأريده ان يستمر الى الابد .

نبيه ـ ولكن هذا مستحيل .

الزوجة ـ غيرنا وصل اليه فلن يكون مستحيلا .. هل من المستحيل ان يحافظ الواحد على سيارته ؟

نبيه ـ نستطيع ان نقول انها تعطلت ..

الزوجة ـ والفيلا ، هل نقول تعطلت ايضا!!

نبيه ـ قولي ما شئت .. يجب ان نترك الفيلا وننتقل الى بيت اقل اجرة .

الزوجة ـ لاتقل نحن .. تستطيع انت ان تغادر الفيلا وتبحث لنفسك عن جحر يؤويك.

نبيه ـ اسمعي .. مارايك ان نشيع بين الجيران اننا مقبلون على سفر ونغادر المكان الى حارة شعبية فلا يدري بنا احد ؟

الزوجة ـ وحين يرون رجلا اخر يفتح الباب وسيدة غيري تنشر الغسيل !!

نبيه ـ ليروا ما شاؤوا .. سنكون بعيدين جدا .

الزوجة ولكن الدنيا ليست واسعة كما تتصورها ، انها صغيرة ..

نبيه ـ ولانها صغيرة فاني لا استطيع ان احافظ على هذه الاشياء ..

الزوجة ـ اعيد عليك مرة عاشرة .. الفيلا لا اغادرها ، والسيارة لا اتنازل عنها .

نبيه ـ ولكن السيارة ! اني انا الذي استعملها .

الزوجة ـ وانا ؟ هل تريد ان ازور زوجات اخوتي ماشية ، هل تحسبني ولدت غجرية حتى تريد لي ذلك ؟

نبيه ـ لست ياستي غجرية ، بل اميرة ولدت في سيارة كادلاك بقوة ٣٤ حصانا .

الزوجة ـ اسخر ما شئت . انه الشيء الوحيد الذي تتقنه . لو كنت فالحا لعرفت كيف تحافظ على ارباحك كما يفعل كل التجار.

نبيه ـ لا اريدك ان تقارني بيني وبين الاخرين . ان لي ظروفي الخاصة .

الزوجة ـ وظروفك الخاصة هذه .. اين اقابلها لاعرف شكل وجهها ؟ انها كالتيفوس تهب علينا كل عام .

نبيه ـ كل عام ؟ انها المرة الوحيدة التي اسالك شيئا من التضحية ..

الزوجة ـ لو كان الامر متصلا بي لما قصرت انه شيء يمس العائلة كلها ، لا يمكن ان اسيء الى سمعة عائلتي ..

نبيه ـ وهل تحسبين اني غريب عن العائلة حتى لا اهتم بامرها ؟

الزوجة ـ هل تسمي هذا التسول :اهتماما بأمر العائلة !! ان الناس ..

نبيه ـ اوه ، دائما .. الناس . الناس .

الزوجة ـ طبعا ، انهم معيار الاشياء . الشيء لا يحسن او يقبح الا اذا حسنه الناس او قبحوه .

نبيه ـ ايهما احسن : ان نتنازل عن بعض الترف من تلقاء انفسنا ام نجبر على التخلي عن كل الضروريات بعد ذلك ؟

الزوجة ـ الاحسن ان تسعى للمحافظة على الشيئين معا .

نبيه ـ ولكني اسعى ..

الزوجة ـ تسعى ؟ تسعى لدي انا البائسة لترميني على رصيف الشارع .

نبيه ـ أوه .. ياصبر أيوب . طيب ، هذه الفيلا تحملنا اجرتها ، والسيارة رضينا بتكاليفها ولكن الخدم ...

الزوجة ـ وماذا ايضا؟ هل امتدت اصابعك الى افراد العائلة لم لا تبيعنا بالجملة وتستريح ؟!

نبيه ـ وهل تعتبرين الخدم من افراد العائلة ؟

الزوجة ـ بعد هذا العمر الذي قضوه معنا هل نتخلى عنهم ؟ ان الانسان قد يفقد ماله ولكن لا يمكن ان يفقد انسانيته .

نبيه ـ طيب حين تحجز المصارف علينا ، فسوف نأكل انسانيتنا ثم لا نستطيع هضمها. اقول لك : ان سمعتي أهم من كل هذه الدواب التي نعلفها .

الزوجة ـ أوه هل تدعوهم دواب ؟! قد تهينهم جميعا الا « طوطو » .. انها خدمتنا باخلاص كل هذه المدة ثم تأتي وتسميها : حشرة ؟!

نبيه ـ وماذا تفعل « طوطو » هذه غير ان تأكل وتهضم طعامها ثم تعود لناكل من جديد؟!

الزوجة ـ ماذا تفعل ؟! بحق الله لا تقل هذا .. هل تظن تصفيف شعري شيئا سهلا (تقترب منه) انظر اليه ، اليست تسريحة رائعة ؟!

نبيه ـ نعم . رائعة .. ولكنها لا تستاهل ان ..

الزوجة ـ لا تستاهل .. لا تستاهل حتى ان تنظر اليها ؟ (باكية) قل انك لم تعد تحبني ..

نبيه ـ ياستي، ليس هذا وقت البكاء ، امامنا مشكلة ..

الزوجة ـ ... تكرهني ، حتى تسريحتي لاتعجبك ..

نبيه ـ تعجبني .. تعجبني ، ولكن هل نحتفظ بخادمة خاصة لتصفيف شعرك !!

الزوجة ـ احتفظت بها كل هذه المدة دون ان تعترض ، ولكنك تحاول ان تجد العذر

لا غاظتي ، تريدني ان اهمل نفسي فأبدو قبيحة ، هذا لن يكون ..

نبيه ـ انت جميلة ، جميلة حقا دون تسريحة . ان شعرك اطار من النور ، انه اكليل ينسكب حول خديك فما حاجتك الى الخدم؟ انت في غنى عن التسريحات والزينة .

الزوجة ـ لم اسمع منك هذا قبل الان . صحيح أن الحاجة ام الاختراع . لوكنت تقوله من قبل لصدقتك . ولكن الان .. وانت في هذه الظروف !!

نبيه ـ هل تحسبينني اكذب ؟

الزوجة ـ لاتكذب .. انني جميلة دون حاجة الى برهان . ولكن هذا النوع من النفاق وفي مثل هذه الظروف يكون ثقيلا .

نبيه ـ بدات ترين اطرائي لك نفاقا ثقيلا .. لم تكن كلماتي . كما أتذكر ، نفاقا ثقيلا من قبل .

الزوجة ـ ذلك لانك كنت تقولها وانت تحس معناها ، كنت تحبني ..

نبيه ـ والان ، الا احبك ؟

الزوجة ـ لو أحببتني لتركت لي الخادمة التي تساعدني ، على الاقل ..

نبيه ـ اوه ، ياللنساء .. لهن الى الاشياء مداخل لا يهتدي اليها حتى الشيطان نفسه .

الزوجة ـ ولكنها ليست امكر من مداخلك التي ترتدي ثياب الحب .

نبيه ـ دعينا من هذه المساجلة التي لامحل لها .. المصيبة اعمق من فلسفة الحب .

الزوجة ـ أرأيت ، تدفع الحب دائما الى اخر الصفوف كأنه شيء لا اهميته له .

نبيه ـ طيب ، سامحيني .. سأضعه في اول الصفوف واترك لك « طوطوك » التي كادت تحدث الطلاق بيننا .

الزوجة ـ الطلاق .. هل تهدد بشيء ؟

نبيه ـ وماذا ايضا !!

الزوجة ـ ذكرت الطلاق ..

نبيه ـ انت حساسة جدا ،هل تتصورين..

الزوجة ـ لست انت على اي حال ، من يطلب الطلاق او يهدد به. تظن انك حين تفرقع بالسوط أسقط خاشعة على قدميك اطلب الرحمة . ان كنت تحسبني جارية فانت مخطيء .

نبيه ـ (متلطفا) لست جارية،انت السيدة هنا ، هل رضيت ؟

الزوجة ـ طبعا انا السيدة ، وانفصل عنك حين اشاء ..

نبيه ـ (مازحا) اذن .. لفي رسني على رقبتي ، وطلقيني !!

الزوجة ـ لاتمزح .. سأفعلها يوما من الايام . تزوجتك على ان لك فيلا وسيارة واربعة خدم ..

نبيه ـ اربعة ؟ رضيت بأن تبقى لك « طوطو » لانها تساعدك في زينتك ، اما الاخرون فلا يمكن ان نعلفهم ايضا .

الزوجة ـ اوه . يالك من متوحش .هل تتخلى عن « طوطو » بعد كل هذه الخدمات التي اداهالك !!

نبيه ـ وهل اعطيه راتبا حبا بوجهه الاسود؟ انه خادمي وليس صديقي .

الزوجة ـ يالك من جاحد ! كاد يقتل نفسه في سبيلك ..

نبيه ـ ياللشهيد البائس !! لو لم تكن عيناه زائغتين على النسوان لما صدمته السيارة ! انه اسود طائش وقد فكرت بالتخلص منه اكثر من مرة .

الزوجة ـ ولكن لن تتخلى عنه الان .

نبيه ـ الان أو بعد الان . سأصرفه هو والاخرين .

الزوجة ـ وقل انك ستقود سيارتك بنفسك وانك ستسرح البستاني ، يهون علي ان افقد اصبعا او يدا ولا اطرد خادما ..

نبيه ـ والخادمة التي طردتها منذ اسبوع؟

الزوجة ـ هل تقارن تلك اللصة القبيحة بهؤلاء ؟

نبيه ـ القبيحة !!

الزوجة ـ اما زلت تراها جميلة ؟

نبيه ـ (محرجا) انها .. انها خادمة .. عادية كباقي الخدم ، كان يجب الا تقسي عليها .

الزوجة ـ لك ضمير حي حقا .. ماذا تسمي محاولتك لتشريد هؤلاء البائسين ؟ هذا ظالم لا اسمح به .

نبيه ـ اوه . ياالله العدالة !! دعيني ارتكب هذا الظلم وحدي . ان ضميري مثقل بالاثام ولا يهمه جريمة جديدة يرتكبها من باب فتح الشهية ..

الزوجة ـ ضمير نائم حقا . لا يوقظه الا اربع ضحايا دفعة واحدة . ولكن كيف تنمو الحديقة بدون بستاني ؟.

نبيه ـ نحن نخدمها ..

الزوجة ـ هل اعود فلاحة اخر العمر ؟لن اعيش لارى اصابعي ملوثة بالطين .

نبيه ـ انا الوث اصابعي . سأعتني بها بنفسي ريثما تعتدل الاحوال .

الزوجة ـ والجيران .. اذا رآك الجيران تخدم الحديقة فلن يشكوا في نسبتك الى الريف .

نبيه ـ تعلمين حقا ، انت وغيرك اني تاجر ابن تاجر ، حتى جدي السابع .

الزوجة ـ وانا فلاحة حتى جدي السابع !!

نبيه ـ ان صحة انسابنا ليست في حاجة الى دليل . ولكن الاترين ان خدمة الحديقة تمنحني مظهرا ديموقراطيا ؟ لقد طال ما اتهمت بأني رأسمالي ، واني محتكر واني ... الى آخر الالقاب التي يلوكها المتسكعون ..

الزوجة ـ انت رأسمالي ؟ هل يدعى رأسماليا من لم يكن لديه سوى سيارة وفيلا وخادمين وبستاني وسائق ؟

نبيه ـ واكثر من ذلك ... يريدون ان اشتغل بيدي ، ان اكون كواحد من العمال الاغبياء الذين اعولهم .

الزوجة ـ اوه .. لا تقل هذا .

نبيه ـ لذلك اطلب منك بعض التضحية .

الزوجة ـ ولو اطعتك لكنت كواحد منهم وبذلك تتحقق ارادتهم ..

نبيه ـ هذا وجه لم يتضح لي .

الزوجة ـ كما اقول لك . الفرق بينك وبين عمالك ان لديك فيلا عتيقة ، وسيارة بائسة ، وخادمين مخلصين ، وانك تتناول اربع وجبات منتظمة في النهار .. وهل تعد ترفا ارسال اولادك الى مدرسة اجنبية ؟ ولو يرونني وانا الح عليك لاستخدام مربية لهم .. ولكنك رجل فيك كثير من رواسب الديمقراطية . مافائدة كل ما نملكه اذا كان لا يدوم ؟ اذا تنازلنا عنه مرة واحدة فكأننا استعرناه ثم اخذه اصحابه .. انك اشد على نفسك من خصومك واقسى ..

نبيه ـ ولكني في مأزق .. سرحت عددا من العمال ولزمني تعويضهم ..

الزوجة ـ فانت تريد ان يكون تعويضهم من طعام عائلتك .. ياله من تدبير ..

نبيه ـ لو كانت الظروف تسير كما كانت لما احتجت الى ذلك كله .

الزوجة ـ اقسر الظروف . لسنا نحن كالاخرين . انهم لم يستطيعوا ان يتجاوزوا الظروف التي ولدوا فيها ولكنك ارتقيت في فترة قصيرة من بائع متجول ..

نبيه ـ ماذا ؟

الزوجة ـ اقصد .. تاجر صغير ، الى تاجر يؤخذ رأيه قبل الاقدام على اي خطوة اقتصادية .

نبيه ـ هذا حقا ، ما انا عليه .

الزوجة ـ ومع ذلك لا تستطيع المحافظة على مستوى عيشك ..

نبيه ـ العمال يلحون والنقابة تؤازرهم .

الزوجة ـ مرحبا نقابة .. يستطيعون الانتظار . انهم اعتادوا عليه .. اما نحن فلايمكن ان نتنازل . يا الهي كيف نتنازل ؟ هذا لايطاق .

نبيه ـ سأسكتهم .

الزوجة ـ طبعا ، تستطيع ان تسكتهم ، لكن دون ان يرفع افراد عائلتك اصواتهم .

نبيه ـ سوف تعتدل الاحوال .

الزوجة ـ هذا ما ظننته فيك من الاول . يجب ان تحصل على المال .

نبيه ـ (ينهض) سوف أرى الوسيلة لذلك ..

الزوجة ـ متى تعود ؟

نبيه ـ الخامسة مساء .. سأحاول ان اعود الخامسة .

الزوجة ـ ولكن لا تعد بدون المال .

المشهد الثاني

(نبيه والزوجة ينصتان الى الساعة تدق الخامسة)

نبيه ـ الاترين اني زوج مؤدب . لم استطع مخالفة الاوامر .. لو صرت يوما وزيرا لما رضيت الا بوزارة الداخلية .

الزوجة ـ ولماذا الداخلية ؟ الماليـــة او التموين انفع ..

نبيه ـ لانه عمل شبيه بعمل الزوجة تأمر فتطاع ..

الزوجة ـ انا آمر فاطاع ؟ أي دليل علـى طاعتك . منذ ساعات كنت تصر على تجريدي من متع الحياة الضرورية .

نبيه ـ ولكني لم اقدر على ذلك وانتصـر رأيك في النهاية .

الزوجة ـ هـــل هـــو انتصار ان يحصل الانسان على مسكن لعائلته ؟ ولكنك تهدد كل يوم بالهجرة وتخفيض المصاريف .

نبيه ـ لن يتكررهذا .. الان استقـــرت الامور عند حدها .

الزوجة ـ ارجو ان تكون عملت بنصيحتي..

نبيه ـ لم استطع المخالفة .. انظـــري (يسحب جرة كبيرة من تحت الطاولـــة) هذه ثروة طائلة .

الزوجة ـ اوه ... هكذا اعرفك رجـــلا نشيطا ، رجل اعمال رائعا ، من اين حصلت عليها ؟

نبيه ـ هل يهمك هذا ؟ انه من اسرارالمهنة.

الزوجة ـ حتى علي تخفي اسرارك !!

نبيه ـ ليس سرا .. تماما ..ولكنه .. امر معقد .. لن اشغلك .. بالحسابات .. يكفي ان تعلمي ان حياتنا لن تتغير .

الزوجة ـ آمل ذلك ..

نبيه ـ ليس املا ولكنه شيء حقيقي يمكن لمسه كما المس هذا المال . (يملأ راحتيه مـن الجرة ويفرغهما على الطاولة)

الزوجة ـ اوه .. شيء رائع .

نبيه ـ من هذه الجرة تتبع قوة العالم ، وعلى هذه الجرة يتناهشون كالذئاب .

الزوجة ـ هكذا كنت اقول لـــك دائما . اذا أنت اخفيت مخالبك ظنك الناس هـــرا يسهل افتراسه .

نبيه ـ تعالي نعد المال .. قبل ان يسمـع الاخرون مواءنا ..

(يضحكان)

الزوجة ـ لماذا تعده ؟ كأنك لقيته مرميـــا في الطريق .

نبيه ـ وهل جرات المال ترمى في الطريق؟ اذن اذهبي وهاتي واحدة .. آن التعب لـم يسمح لي باحصاء ثروتي .

(يتعاونان على وضع الجرة فوق الطاولة)

الزوجة ـ انت تعد الفضة وانا اهتم بأمر الذهب .

نبيه ـ آوه .. ياله من عدل !! دائمـــا تستأثرين بالشيء الاكثر لمعانا ..

الزوجة ـ ولكن فيها انواعا اخرى .. يجب ان نستعين بالخدم .

نبيه ـ لا تطلعي الخدم على اسرارنا .

الزوجة ـ انه ليس سرا . كـــل الناس يعرفون اننا نملك ثروة ..

نبيه ـ ولكن .. الخدم .. سيشيعون ان..

الزوجة ـ دعهم يشيعوا .. صيت غنى ولا صيت فقر .

(نبيه يعد .. تنادي من الباب الجانبي) طوطو ، طمطم ، ناديا ، عبدو . اتركوا كل شيء وتعالوا بسرعة .

نبيه ـ والسائق أيضا ؟

الزوجة ـ اريد أن يتأكدوا جميعا مـن صحة الاشاعة . ثم انهم سيساعدوننا .

(طوطو و طمطم أسودان ، والسائق يرتدي ملابس تلائم مهنته) تعال يا طمطم ، انا اعـد وانت تكتب .. وانت ياطوطو اهتمي بالنقود المثقوبة ، ضعيها في خيط واجعلي كل الف في قلادة ، هذا عمل يلائمك .

طوطو ـ ولكن ياسيدتي .. اخشـــى الا استطيع ذلك . لم اعمل قلادة منذ كنت صغيرة، ثم لا اظن قلادة الكعك تشبه قلادة النقود .

الزوجة ـ انه شيء واحد .. ولكنك لم تعتادي على رؤية المال ، وارى يديك ترتجفان منذ الان (يقترب طمطم وطوطو)

نبيه ـ قف انت واياها .. مـاذا تفعلان ؟ هل تحسبانها وليمة أنتما مقدمان عليهـا ؟. عد المال له أصول .. ما هكذا كالمتوحشين .. (لطمطم) اولا : هل يداك نظيفتان ؟ انني المح تحت اظافرك وسخا ، وهو حول رسغك حلقات، ورقبتك ؟. ان خطوط الملـح واضحة علـى جلدك الاسود .

طمطم ـ هل تريد ان اغتسل قبل ان اعد ليرة فراطة ؟

نبيه ـ نعم ، يجب ان تغتسل . ان المال هو النعمة . انه كل شيء .. يمكن تحويله الى اي شيء ، الى خبز مثلا .. وهل تتناول الخبز قبل ان تغسل يديك ؟ بل لعلها عادتك ان تأكل ويداك مغموستان في هذه الاوساخ ؟!

طمطم ـ ولكن يدي نظيفتان .

نبيه ـ وهذا السواد عليهما ؟

طمطم ـ هكذا لون جلدي .

نبيه ـ اذن الافضل ان تغير جلدك .

طمطم ـ أسلخ جلدي من أجـــل نقودك ؟! أفضل الا ألمس قرشا .

نبيه ـ يكون أحسن . خاصة واني أرى في عينيك بريق الطمع. (طمطم يمشي لينصرف) الى اين ؟ تعال لاتأكد من انك لم تأخذ شيئا .

الزوجة ـ ولكن ، ياعزيزي .. هو ما قرب من الطاولة !!

نبيه ـ انت لاتعرفين هذا النوع من المخلوقات! انهم حاذقون .. ولو مد الله من السمـــاء رجله لسرقوا حذاءه .. (يفتشه) .

طوطو ـ علي ان ارتب غرفة النوم ، كنت اعتني بالزهور فلم اجد الوقت لترتيبهـا (تحاول ان تنصرف)

الزوجة ـ بعد ان رأيت الجرة جـــاءت أشغالك ؟

طوطو ـ ولكن ياسيدتي .. لست شاطرة في صنع القلادات ، وقلادات المال خاصة .

نبيه ـ دعيها تنصرف ، بـــل الاحسن ان تقفا بعيدا وتتأكدا من ان شيئا لم يسقـــط على الارض .

طمطم ـ وهل يمكن ان يسقط بعـــد ان تمسك به ؟

نبيه ـ ماذا تقصد ياوقح ؟

طمطم ـ اقصد .. انك .. حاذق فـــي امساك النقود ولايمكن ان تفلت من يديـــك بسهولة .

الزوجة ـ انه يمدحك ياعزيزي ..

نبيه ـ هيه .. (للسائـــق) وانـت قف بعيدا هكذا واخلع هذه القبعة التي تتسع لكيلو فراطة . وهذا المعطف الذي يمكن ان يخفـي اربع جرات . وهذا القميص ؟ .. لماذا تكثر من الثغرات في ثيابك بحق الله ؟ من يراك يحسب انك وكر عائلة من الثعالب .. والان اجلس هناك امامي .. ولا تتصور نفســك وراء عجلة القيادة .. لا اريد السرعـــة ولا الحركات البهلوانية .. (تجلس الزوجـــة ونبيه والسائق يعدون المال . والاخـــران يتململان في وقفتهما)

الزوجة ـ الذهب .. اليس لهذه الكلمـة جمال خاص ؟ انظر هذا الدينار ، انـه لوحـة .. بل هو خاتم المارد .

نبيه ـ حقا .. لقد تحول خاتم المارد الـى شيء حقيقي يتداولـــه الناس . ولكـــن لا يتداوله الا الجديرون به . لا ينجذب الذهب الا الى ذهب الناس . امـــا المعادن الخسيسة فتأوي الى جنسها .

الزوجة ـ (ترن قطعتين) اوه .. شكرا . شكرا .

السائق ـ (يتوقف عـــن العد . اشارة سخرية) والذين لا يملكون ؟

نبيه ـ لا يستحقون شيئا .. هـذا رأيي : الناس تساوي المعادن التي تملكها .

السائق ـ هه .. ليس مـــن السهل ان يجتمع الذهب والضمير النظيف .

نبيه ـ ولكنك ترى الاثنين بأم عينـــك .. أتزعم انك لا تراهما ؟

السائق ـ بل ارى جيـــدا .. أن مهنتـي تقتضي ان اكون حسن الرؤية ، وتلك هـــي المصيبة .

الزوجة ـ اوه .. أليست قسـوة ان بعض الناس لا يملكون حسا فنيا . لقد لوثوا وجه الدينار . الفلاظ ، كيف يجرؤون .. طوطو ،

هاتي الفرشاة . يجب ان انظفه . انظر يا عزيزي .

نبيه ـ (يتناوله) يبدو ان صاحبه جزار.

الزوجة ـ يجب ان يصدر قانون يمنع الجزارين من حيازة الذهب .

السائق ـ لا حاجة للقانون ، انهم نادرا ما يرون الذهب ..

نبيه ـ واذا رأوه لوثوا وجهه .. ان بينهم وبينه عداوة ، لذلك فهو يفر من اصابعهم .

السائق ـ المال كالكلاب تتبع من يدللها .

نبيه ـ هذا اقل ما يجب علينا نحوه ، انه جدير بالتقديس .

الزوجة ـ (تتناول الفرشاة) الدهن غطى وجه الملك جورج .

نبيه ـ انه جزار اشتراكي لا شك .

الزوجة ـ (يسقط الدينار من يدها) آي .. الخبيث يريد ان يفر .. انظري يا طوطو هل هو تحت الطاولة ؟

طوطو ـ يا سيدتي ، مفاصلي متيبسة ولا تسمح لي بالانحناء ، وان انحنيت فلا استطيع النزول تحت الطاولة .

الزوجة ـ أنت يا طم طم ، انحن وهات الدينار .

طم‌طم ـ ليس في شروط العقد ان انحني يا سيدتي .

نبيه ـ طز على ذلك العقد .. غور من امامي على اربعتك يا شكل القرد قبل ان اكسر فكك (يذهب طم‌طم متشامخا) .. الكلب يتشدق بالعقود (للسائق) انحن وابحث عن الدينار .. ام ان عقدك لا يسمح لك كذلك ؟

السائق ـ ولكن يا سيدي ..

الزوجة ـ أوه .. دعه لا تحرجه ، انه سائق ماهر ، سانحني انا لالتقطه ..

نبيه ـ ما فائدة الخدم اذا كانوا لا يستطيعون الانحناء ؟. ان لم ننحن لمال فلاي شيء ننحني ؟ انا سانحني ..

(يزحف تحت الطاولة)

السائق ـ (الزوجة تمسك اصابعه وتقفزه .. من فوق رأسه) .. وبذلك تعود الى وضعك الطبيعي .

المشهد الثالث

الزوجة ـ ماذا قال الطبيب ؟

نبيه ـ قال كلاما كثيرا . انه كالآلة التي تتحرك بقدر ما تضعين فيها من نقود . لقد حدثني بثمن المعاينة ، ثم نادى مريضا اخر..

الزوجة ـ لا يمكن ان يكون بهذه القسوة .

نبيه ـ ان قسوته لا تعادل غبائي . ولكنك انت المحرضة . تريدين ان اتبع هذه البدعة ، واراجع الطبيب النفساني . هانذا راجعته فماذا لقيت ؟

الزوجة ـ تعود لتلقي علي اللوم . نعم استحق منك اللوم لاني انصحك بمراجعة طبيب.

نبيه ـ تأكدي تماما اني حين وضعت قدمي على اول درجة من عيادته شعرت بأربع عقد جديدة تتشابك في صدري .

الزوجة ـ حين يكون المرء سليم الجسم مثلك ، يأكل أربع وجبات وينام ١٤ ساعة ، ولا يشكو من ضائقة مالية فلا بد ان يكون مريضا نفسيا .

نبيه ـ مرض نفسي .. ذلك الغبي مددني واطفأ الانوار فشعرت بأنني في قبر . ثم جلس يهمس بصوت عاشق مبحوح : هل كان ابوك يضربك ؟ هل تحب البندق ؟ الديك سن منخورة ؟ من احب الممثلات لديك ؟ كيف تعقد كرافتك ؟ ولم يتركني انهض حتى تأكد انه سينال اجرا طيبا .

الزوجة ـ هل سألك عن هذا ايضا ؟

نبيه ـ كنت استطيع رؤية بريق الطمع في عينيه وهو يسأل : « هل تعاني من ازمة مالية ؟ »

الزوجة ـ أرأيت ... ان الازمة المالية تسبب العقد النفسية .

نبيه ـ قلت لك اني لا اريد وصفا لمرضي ولكن اريد علاجا له . وهذا ما لا اجده لدى احد .

الزوجة ـ ان الانسان يتألف من جسد ونفس ، فما دمت صحيح الجسد فلا بد انك مريض النفس .

نبيه ـ أوف .. بدأت احس مغصا من كل ذلك .

الزوجة ـ ربما كنت غير واثق من الطبيب فلم تصدق في اجوبتك .

نبيه ـ بعض الاسئلة لا يمكن الجواب عنها، انها .. انها خاصة جدا .

الزوجة ـ طيب .. اذا سألتك انا فربما توصلت الى شيء ، لا يمكنك ان تخفي علي امرا .

نبيه ـ اوه ، بالله عليك ، جربي شعوذتك على انسان اقل مني بؤسا .

الزوجة ـ لا توهم نفسك . أنت سعيد ، وكل ما هنالك انك واهم .

نبيه ـ والوهم أليس مرضا ؟ يكفي ان احس بالالم لاكون مريضا .

الزوجة ـ ولكنك لا تعرف مصدر الالم ..

نبيه ـ هذا ما انبرى لساني وانا اقوله ..

الزوجة ـ طيب .. تعال نتذكر معا ، ان حياتنا متشابهة ، ولاني شاركتك اكثرها ، فسوف اتذكر عنك ..

نبيه ـ افعلي بنفسك ما شئت .

الزوجة ـ هل تحس نوعا من الفراغ او التانيب ؟

نبيه ـ فلنفرض اني قلت واحدا منهما .. اي فرق في هذا ؟

الزوجة ـ تريد ان تتقن الصنعة في دقائق ! اذا كان فراغا فهذا يعني انك اهملت شيئا كنت تريد عمله . فهو الان ينخر في نفسك ليذكرك ..

نبيه ـ (بدأ يقتنع) دعيني اتذكر . العمل .. عادي . اسكتنا كل الاصوات المزعجة ، الا هذا الصوت .. (يشير الى صدره) .

الزوجة ـ تعمق اكثر . ابتعد الى الماضي..

نبيه ـ لا .. يكفي الى هنا . لا يمكن ان اتعمق اكثر .

الزوجة ـ أوه .. هل تتصورني الطبيب ؟ لست غريبة عنك يا عزيزي ..

نبيه ـ ليس لدي شيء اخفيه ، الا .. الا .. اوه ، لا يمكن ان يكون .. بل .

الزوجة ـ .. اصطدها ، لا تدعها تفلت منك . ربما كانت هي التي عكرت مزاجك .

نبيه ـ بل هي التي عكرت مزاجي فعلا .. طيب . ما دمت تعرفين كل شيء .

الزوجة ـ يسرني ان اكون قد شفيتك .

نبيه ـ لا تستبقي الامور . انت لم تعرفي القصة بعد .

الزوجة ـ دعني احزر .. هل هي قضية العامل الذي اقام دعوى ؟ كانت براعة منك ان تطبخ محاكمته .

نبيه ـ لا .. غيرها . هل تذكرين الجرة ؟

الزوجة ـ الجرة ؟ آوه ، وهل يمكن ان انسى جرة السعادة ؟. لا تقل انها تؤرقك ؟!

نبيه ـ كانت تحز في نفسي كل هذه المدة.

الزوجة ـ أنت مريض معكوس .. تعقدك النعمة .

نبيه ـ النعمة !! كانت في حينها نعمة حقا .. ولكن لا تعرفين من اين أتيت بها .

الزوجة ـ سألتك ان كنت لقيتها فقلت : ان الناس لا يرمون بمثل هذه الاشياء الى الطريق .

نبيه ـ ولكني جئت بها هكذا ... من الطريق .

الزوجة ـ أوه .. اعترف لك اني عاجزة عن فهم الالغاز .

نبيه ـ كنت يومها ، ناقشتك امر النفقات ورفضت التنازل عن أي شيء .

الزوجة ـ اوه .. يا عزيزي !! ذلك ماض بعيد .

نبيه ـ ... ومشيت في الطريق افكر . كان علي ان احتفظ بالمكانة التي وصلنا اليها.

الزوجة ـ هذا ما يجب ان تفعله ..

نبيه ـ كنت شاردا في السوق لا أكاد ابصر، ارى الناس واتساءل من اين يعيش هؤلاء جميعا ؟ كلهم اصحاب اسر يعولونها ، ومكانة يحافظون عليها .. الا انا . ولمحت حمالا هرما يجمع حباله على ظهره ، ثم ينزل اكمامه وينصرف . كان المغرب قد اقترب والناس بدأوا يغلقون حوانيتهم .. وتبعث الحمال ، فدخل مسجدا في حي قديم ، صلى فيه ركعتين ثم جلس يحصي غلته . وبعد ان انتهى من ذلك نهض فوضع جزءا منها في كف رجل عجوز يجلس في زاوية المسجد ثم انصرف ..

الزوجة ـ ولكنك لم تقل من أين حصلت على الجرة ؟

نبيه ـ طيب .. اسمعي ، .. واثار هذا فضولي فانتظرت اراقب العجوز فرأيته يكشف السجادة ثم يخرج من حفرة تحتها جرة كبيرة.

الزوجة ـ آه .. الجرة !!

نبيه ـ وتأكدت ان ثروة طائلة تحويها هذه الجرة .

الزوجة ـ ولكن من اين للعجوز كل هذه الثروة ؟!

نبيه ـ ألم اقل لك ان الحمال الهرم كان يعطيه بعض غلته ..

الزوجة ـ ولكن حمالا واحدا لا يمكن ..

نبيه ـ لا بد ان آلافا من الحمالين والبائعين والساعاتية والخبازين .. وشتى المهن تملأ هذه الجرة .

الزوجة ـ آه . صحيح .. لم اجد في الجرة قطعة واحدة نظيفة ..

نبيه ـ كانت ملوثة بعرق هذه الطبقة من الخلق .

الزوجة ـ ولكن كيف استطعت ان تخدع العجوز وتحصل منه على الجرة ؟

نبيه ـ لم يكن في حاجة الى الخداع . انتظرت قيامه للصلاة فكشفت السجادة وحملت الجرة ومضيت .

الزوجة ـ ولكن ماذا يريدون ان يفعلوا بها؟

نبيه ـ من يدري ؟ اظنها نوعا من هذه الجمعيات التي انتشرت اخيرا كالوباء ..

الزوجة ـ جمعية خيرية ؟ هل هي جمعية نسائية ؟..

نبيه ـ لم احفظ اسمها لاني لم افكر بردها اليهم حينئذ ..

الزوجة ـ طبعا .. لا يمكنك ان تعيدها . نحن احق بها منهم .

نبيه ـ هل ترين هذا ؟

الزوجة ـ وانت .. الا تراه ؟!

نبيه ـ الان عرفت مكان الشوكة التي تنخز في صدري ولكني لا اجرؤ على نزعها .

الزوجة ـ هل تسمي الجرة شوكة ؟ لن ادعك تنزعها اذا كانت هي ما تشكو منه .

نبيه ـ أنت اول طبيبة تمنع عن مريضها الشفاء . أم ان كل الاطباء يفعلون ذلك ؟

الزوجة ـ تريدنا ان نعود الى فقرنا كما كنا ؟ انها نوباتك الموسمية ، تنغص حياتنا بين حين واخر .

نبيه ـ نحن الان اغنياء ولا ...

الزوجة ـ اغنياء .. اغنياء . ولكن لا يعني هذا ان نرمي بأموالنا الى الشارع .

نبيه ـ هذا نوع من اعادة الحق . لقد استعرت الجرة وكان في نيتي ان اعيدها .. ان الرجل العجوز اسدى الينا خدمة رائعة ، لا يمكن ان تنكري هذا .

الزوجة ـ لا انكره . ولكن ماذا يمكن لعجوز ابله مثله ان يفعل بهذه الاموال ؟! لولا انك لمحتها ، وتصرفت بها ، لبقيت مدفونة ، تحت السجادة . انها كالمناجم .. نعم . كالمناجم يملكها من يخدمها .

نبيه ـ قلت لك : انني استعرتها ، كما تستعيرين انت من جارتك المغرفة ... ويجب ان تعود لاصحابها .

الزوجة ـ لا افهم معنى هذا الولوع المفاجيء بالعدالة .

نبيه ـ كنت دائما في جانب العدالة .

الزوجة ـ اعرف .. اعرف .. ولكنك بدأت تدقق كثيرا هذه الايام ..

نبيه ـ الا تريدين ان يستريح ضميري ؟!

الزوجة ـ هه .. ضميرك !! هذا القميص الذي امتلأ بالرقع .

نبيه ـ قولي ما شئت .. الجرة ستعود لاصحابها .

الزوجة ـ خذها وقل للعجوز : هذه ثروتك التي سرقتها منذ سنين ، وانتظر منه ان ينحني لك حتى تمس لحيته الارض .

نبيه ـ طبعا .. سينحني لي لاني رجل شريف .

الزوجة ـ (تتحسس جسمه متظاهرة بالجد) ارجوك .. لا تمضغ الكلمات الضخمة والا تكسر طقم اسنانك .

نبيه ـ ماذا تفعلين ؟

الزوجة ـ في أي منطقة يختبيء هذا الشرف الذي تتحدث عنه ؟

نبيه ـ آه .. اللعنة على ذلك اليوم الذي..

الزوجة ـ انت تسوق نفسك الى كارثة .. اذا عرف العجوز ان جرته هي اصل ثروتك فلن يرضى الا بثروتك كلها .. هل تفهم معنى هذا ؟

نبيه ـ طيب .. ولكن ، اريد ان ارتاح ، كان يدا تعصر قلبي .. وهذه الجرة هي اصل البلاء .

الزوجة ـ ترتاح ؟ اسلك اذن الاساليب المريحة .

نبيه ـ اقترحي علي ، قولي أي شيء .. لن اتمسك برأي بعد ان ظهر فساده .

الزوجة ـ لا تطلع صاحب الجرة على قصتك . اذا رأيته فابلع لسانك ، ولا تبح بكلمة واحدة . لا تجعله يعرف انه صاحب الفضل عليك . اذا عرف أن دارك وطعامك وملابسي وملابسك ، كانت من جرته فسوف تسقط في عينه ولا تقوم ابدا .. ثم يحاول ان يجردك حتى من قميصك الذي تلبسه .. ولو استطاع لسلخ جلدك عن جسدك .

نبيه ـ اوه .. لن يكون بهذه الفظاعة .

الزوجة ـ لو عرف لكان .. اسألني انا عن هذا الصنف من الخلايق . حين ترفع قدمك عن رقبته يحسب الدنيا ملكا له . ولا يرضى الا باعادتك الى المذلة التي كان هو فيها .

نبيه ـ والله مصيبة ..

الزوجة ـ (مترفقة) ولكن يا عزيزي ، لن نعدم رأيا صائبا .

نبيه ـ الرأي .. الصائب ؟!

الزوجة ـ لماذا لا تدعوه الى وليمة ؟

نبيه ـ انا ادعو ذلك العجوز الى بيتي !!

الزوجة ـ ادعه الى العشاء .. اطعمه وجبة دسمة ، وتصدق عليه ببعض المال ، وسوف تراه اطوع لك من خادمك .

نبيه ـ واذا ابى ؟

الزوجة ـ وهل يرفض عجوز مثله وليمة عندك ؟ خبز الصدقة له طعم خاص لا تعرفه.

نبيه ـ ثم .. بأي حجة ادعوه ؟

الزوجة ـ قل له اي شيء .. قل له ان والدي .. قد .. توفي .. وانك تريد ان تنفق بعض المال على روحه .

نبيه ـ انا انفق المال على روح والدك ؟

الزوجة ـ أنفق من الجرة ..

نبيه ـ الدفع دائما .. المال دائما .. (يدق على صدره) آه .. لولا هذا الشيء اللعين .. طيب ، سأعطيه الجرة واستريح .

الزوجة ـ اياك ان تفعل .

نبيه ـ (لا يفهم) ...

الزوجة ـ احتفظ بجوهر القضية . انفق من الجرة على العشاء ، ثم اعطه ما بقي على انه صدقة .

نبيه ـ هكذا تقولين .. الصدقة . نبيه بك يتصدق (يضحك) .

الزوجة ـ وبذلك ترضي ضميرك وتحتفظ لنفسك بالمنة عليه .

نبيه ـ ... حين يتسامع الناس بهذا المبلغ الكبير الذي انفقه ، الا يظنون شيئا ؟

الزوجة ـ طبعا سيظنون .. ستقول الارستقراطية انك تسعى لدنياك، والديمقراطية تقول ...

نبيه ـ ... اني اسعى لاخرتي .

(يضحكان)

المشهد الرابع

الزوجة ـ هل رأيته ؟

نبيه ـ كان يجلس في الزاوية التي وجدته فيها اول مرة . وحاول ان يقنع ولكن مقاومته انهارت حين ذكرت له الجمعية الخيرية .

الزوجة ـ ألم تذكر له نوع الطعام ؟

نبيه ـ ذكرته طبعا .

الزوجة ـ آه ، لذلك انهارت مقاومته . ولكنه تأخر ..

نبيه ـ وعد ان يأتي بعد صلاة العشاء .

الزوجة ـ اراهن انه زادها ركعتين ليهضم غداءه ، بل لعله لم يتغد اصلا ..

نبيه ـ ارى أن نحضر الطعام ، اتوقع مجيئه بين لحظة واخرى ..

الزوجة ـ هيه .. كأنك مراهق واعد حبيبته .

نبيه ـ لا تأخذي حماستي على انها انفعال

ـ التتمة على الصفحة ٦١ ـ

الجثة العنيدة

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٤٥ ـ

* * *

.. اريد ان اخلص من هذه الورطة على اية حال (يصفق) طمطم .. (يدخل) هل هيأت الطعام ؟. اقترب ماذا تأكل ؟ انه طعام للضيف وليس لحلقك الابخر .

طمطم ـ ذقت الرز .. هل تريد ان اطبخ الرز دون ان اذوقه ؟!

نبيه ـ اعرف كيف تذوقه .. ترمي بالمغرفة الى اسفل القدر ، حيث ترسب السمن ثم تفتلها هكذا .. وترفعها وهي تقطر ، ثم تدسها في حلقك .

طمطم ـ آي .. السمن الذي يقطر ؟!

نبيه ـ ان سبب خراب البيوت شيئان : قرة تقرض وخادم يطبخ .. اعرف كيف اداويك ، سأضع لك يوما كمامة تلجمك عن المضغ اثناء الطبخ .

طمطم ـ اضراسي تؤلمني منذ امس ولا يمكن ان امضغ عليها شيئا ..

نبيه ـ وكيف لا تؤلمك اضراسك وانت تطحن عليها الاخضر واليابس ، وتكرع الحلو والحامض .. لا ادري كيف انك لا تصاب بالقراحة من تراكم كل هذه الاطعمة في جوفك.

طمطم ـ معدتي سليمة والحمد لله ..

نبيه ـ ان معدة تهضم مؤونة عائلة لا بد ان تكون سليمة . هل انضجت الرز ؟

طمطم ـ نعم يا سيدي ...

نبيه ـ يا مهبول ؟! قلت لك لاتنضجه ليكون ثقيلا على المعدة . والسمن ؟

طمطم ـ لم اضعه بعد فكيف تريده ؟

نبيه ـ خذ ثلاث ملاعق من السمن ، وادهن بها وجه الطعام ولا تحركه ، ليراه الضيف بام عينه ، ويتأكد من وجوده ، فان ضيوف هذه الايام لا يصدقون حتى يروا ..

طمطم ـ انا طباخ ، ولست بساحر ..

نبيه ـ وما دخل السحر يا بليد ؟

طمطم ـ كيف يمكن للسمن اذن ، ان يقف على وجه الرز الساخن ؟

الزوجة ـ اسمع ... اسكب السمن حتى يطفو على وجهه ..

طمطم ـ (خائفا) افعلي هذا بنفسك يا سيدتي . ان لدي عائلة يجب ان أعود اليها .

الزوجة ـ اصنع كما اقول لك .

طمطم ـ انك لا شك ، تمزحين ..

نبيه ـ لا شك . لا شك .

الزوجة ـ أكثر من السمن حتى لا يستطيع الضيف ان يأخذ قطعة الخبز اذا غمسها ، واذا كان ماهرا واستطاع ان يأخذها فلن يقدر على مضغها ، واذا مضغها فلن يبلعها لان المعدة لا تقبل الطعام الدسم .

نبيه ـ كيف لم افطن الى هذه الحقيقة من قبل ؟.

الهن من أخيه .

نبيه ـ ماذا تتمتم يا خبيث ؟

طمطم ـ لا شيء .. كنت اترحم على حاتم ،

طمطم ـ (يهمس) اوه .. شهاب الدين طيب الله ثراه .

نبيه ـ ايه .. انصرف الى عملك واذكر ما قلنا لك (يمشي) بل اسمع ، لا تنس ان تهيء بعض المفاجآت ..

طمطم ـ المفاجآت .. لم اسمع بهذا الصنف من الطعام .

نبيه ـ كفى حديثا عن اصناف الطعام . لا تنس ـ اذا رأيت الضيف يأكل ، ان تقتحم الغرفة وتخبرني ان فأرا علق بالمصيدة ، او ان صرصارا سقط في الزيت ..

طمطم ـ ... او ان القطة ولدت في الرز، والجرو توفي في كيس الطحين ، .. وسوف اقرص اطراف الارغفة لنوهمه اننا استنقذناها من فم كلب في اخر لحظة ..

نبيه ـ طيب .. انصرف .

طمطم ـ واذا رأيت عنده مناعة فهل احضر ابن الحارس ؟ انه صبي مشوه لا اذكره حتى اصاب بالغثيان .

نبيه ـ ولا كل هذا .. نريد ان نصنع وليمة لا ان نخرج فيلما ..

طمطم ـ (وهو ينصرف) بدأت اعتقد ذلك.

الزوجة ـ هذا خادم مخلص .

نبيه ـ مخلص وله ١٢ ضرسا ومعدة هائلة. وجاءنا اليوم الضيف فزاد في النغم طنبورا .

الزوجة ـ انت اردت ذلك .

نبيه ـ انه لبخة اضعها على ضميري .. ولكن تأخر .

(قرع على الباب)

يا طمطم ، افتح الباب .

الزوجة ـ مشغول في المطبخ .. اذهب انت .

نبيه ـ اذهبي انت ، ركبي ما عادت تحملني.

المشهد الخامس

(الطاولة عليها قدر . الضيف متوسد ذراعيه ووجهه مختف بينهما ، نبيه وزوجته يدخلان على رؤوس اصابعهما) .

الزوجة ـ ما شاء الله .. نوم الرضيع ، من اول المساء حتى الصباح .

نبيه ـ هس .. لا ترفعي صوتك ، ربما افاق ..

الزوجة ـ وهذا ما اريده .

نبيه ـ دعيه ينام . يجب ان يحس بالراحة التامة .

الزوجة ـ المهم أن تشعر انت بالراحة .. ما زلت تحس بتلك الشوكة في صدرك ؟

نبيه ـ لا .. زال الالم .

الزوجة ـ اذن يجب ان نوقظه ونعطيه المبلغ وينصرف . لولاك لصرفته من اول المساء .

نبيه ـ كان يجب ان اتأكد من الشفاء .. ربما عاودني الالم بعد ذهابه .

الزوجة ـ ولكن علي ان انظف الغرفة . لا يمكنني التنفس في غرفة نام فيها شحاذ .

نبيه ـ انه ضيفنا ..

الزوجة ـ ليس اكثر من شحاذ . انه يقبض ثمن ذلك ..

نبيه ـ اذن ايقظيه برفق لئلا يشعر باننا .. نهينه .

الزوجة ـ بعد كل هذا الاحسان لا يمكن ان يشعر بالاهانة .. فضل منا ان قبلناه في بيتنا (تهزه) انت .. هيه .. استيقظ . نومه ثقيل مثل دمه . حاول انت ان توقظه .

نبيه ـ (يهزه) يا سيد .. يا اخانا .. يا ضيفنا العزيز .. الشمس طلعت ولم يبق في البيت غير الكسالى . أوه .. نومه ثقيل حقا .

الزوجة ـ اصرخ في اذنيه . ما هذه المصيبة !!

نبيه ـ يا .. يا اخانا . ما هذا ؟ والله نائم كالقتيل .

الزوجة ـ ملأ معدته من الدسم فلا يمكن ان يستيقظ بسهولة .

نبيه ـ انظري الى وجهه .. اصفر ، كانما لا دم فيه .

الزوجة ـ كل الدم اندفع الى المعدة يساعدها على الهضم .

نبيه ـ (يهزه بيديه) يا فلان .. فم .. تصوري اني لا اعرف حتى اسمه .. ويداه باردتان . كان يجب أن نغطيه .

الزوجة ـ نعس على الطاولة فما اردت ان ازعجه .

نبيه ـ بل قولي انك لم تريدي ان ينام على السرير .

الزوجة ـ لماذا لم تحمله الى السرير ؟!

نبيه ـ كنت اعرف انك تكرهين ذلك فلم أشأ ان اغضبك . انظري ماذا انتهى بنا الامر .. ربما كان ميتا من البرد .

الزوجة ـ هؤلاء الناس لا يموتون بسهولة.

نبيه ـ انظري هل ترك شيئا من الطعام ؟

الزوجة ـ (تنظر في القدر) لم يترك لقمة واحدة .

نبيه ـ قدر كاملة يأكلها مرة واحدة ؟ ما هذه المعدة الهائلة !!

الزوجة ـ كان شديد الجوع .. لا بد انه صام اسبوعا قبل ان يأتي الينا .. ايقظه وليهضم طعامه في مكان اخر .

نبيه ـ يا شيخ الجماعة .. يا سيدنا الشيخ .. اظنه ميتا .

الزوجة ـ دعني انظر في عينيه .. اوه .. ميت حقا .

نبيه ـ ميت في بيتي .. ميت في بيتي انا ؟! يا .. يا .. طمطم .

الزوجة ـ انتظر .. انتظر ، لا تدع احدا..

نبيه ـ ماذا نفعل ؟

الزوجة ـ لنتخلص منه دون ضجة .

نبيه ـ ولكن كيف مات ؟

الزوجة ـ اللعين .. موت نفسه نكاية بنا . انتحر ليفيظنا .

نبيه ـ انه خبيث .. خبيث على الاطلاق .

الزوجة ـ .. اكل الطعام كله ؟! لا بد انه سمع بعض الشائعات عن .. تقديرك للمال .

نبيه ـ ولكن كيف نتخلص من الجثة .. لو عرف الناس لوقعنا في مصيبة .

الزوجة ـ اسمع .. يجب ان تبحث عن شخص بلا مخ .

نبيه ـ لا .. لن ابحث عن احد بعد الان.. يكفينا قتيل واحد .

الزوجة ـ قلت لك : شخص بلا مخ .

نبيه ـ وماذا نفعل بهذا الحيوان .. هل نعلفه ايضا حتى يموت ؟!

الزوجة ـ (صامتة تنظر اليه) ...

نبيه ـ هل .. هل لديك خطة مـا .. اشرحيها لي .. لاني .. بدأت ..

الزوجة ـ لن اشرح شيئا قبل ان تأتيني به .

نبيه ـ ولكن من اين احصل على رجل بلا مخ ؟!

الزوجة ـ وهل انقلب الناس كلهم اذكياء على حظنا ؟ لو رميت حذائي من الشباك لاصاب رأس غبي يتسكع .. ابحث عن سكير في حانة ، أو حشاش تحت الجسر .

نبيه ـ حشاش تحت الجسر ؟!

الزوجة ـ او فوق الجسر . وليكن قويا ..

نبيه ـ (يمشي الى الباب ذاهلا) حشاش .. تحت الجسر .. قوي ، غبي ، بلا مخ ، .. تحت الجسر ..

الزوجة ـ اسرع قبل ان تنعفن الجثة ، وتفضحنا بين الجيران .

المشهد السادس

الحشاش ـ يا ستي .. الله يرحمه .

الزوجة ـ انا حرمة مسكينة ، جنح مكسور ، وليس لي غيرك .

الحشاش ـ وصلت يا أخت وصلت ، هل تريدين شيئا اخر غير ان ادفنه ؟

الزوجة ـ لا .. ادفنه ، هذا كل ما اريده .

الحشاش ـ اذن ، ضعيه في كيس .. (ينظر اليه ويقلبه بيده) آم اقول لك ..

الزوجة ـ (خائفة) ماذا ؟ هل هو ثقيل ؟..

الحشاش ـ لا .. الاحسن : صريه في بقجة ..

نبيه ـ سبحان الله ، وكيف تحمله في بقجة !!

الحشاش ـ في بقجة احسن .. سأبدو وكأني امرأة عجوز رايحة للحمام .

(يضحك لوحده)

نبيه ـ يا اخانا .. القضية ما هي سهلة .. القضية .

الزوجة ـ ولكن تأكد من دفنه . انه ولي معتبر . لو علم تلاميذه ومريدوه اننا نعاود دفنه لاخذوه منا وبنوا عليه مزارا .

الحشاش ـ هل تعنين انهم يسرقونه ؟

الزوجة ـ انهم مريدوه وهم يقدسونه ، ومن يعرف ما يفعل المريدون ؟

الحشاش ـ البهايم .. ماذا يجدون في فقة العظام هذه ؟!

الزوجة ـ اوه .. لا تنس انه ابي .

الحشاش ـ (يحك رقبته) ابوك على عيني وراسي ، ولكنه قليل ذوق .. بصراحة . (المضيف) الجماعة احتفلوا بك ، وعملوا لك جنازة تشهي الواحد على الموت ، ثم تجيء حضرتك وتكشف القبر وترجع .. اما انك .. لا .. لا تستحي .

الزوجة ـ تماما ، كما قلت .. الجنازة كلفتنا مئة قطعة ذهب .

الحشاش ـ مئة قطعة ذهب .. انتظري (يحسب) مئة قطعة تساوي .. تساوي « جو ل » حشيش .. جوال حشيشش انفقته على روح ها اذ . ها المرحوم ؟!

نبيه ـ ويا ليته اندفن ..

الحشاش ـ ما بقي شيء من بعد الجنازة ؟ يعني .. هكذا .. نفس ، نفسين في حب الخليل ؟

نبيه ـ نفسين ؟!

الحشاش ـ نفس واحد يكفي ..

الزوجة ـ معقول ما يبقى ؟ ادفنه وارجع الينا .. ستجده جاهزا .

الحشاش ـ (يحك جسده) عشت يا ست عشت ..

الزوجة ـ (لنبيه) ساعده على حمله .

الحشاش ـ لا .. اتركني سأحمله وحدي .. لا يجب ان توسخ يديك به (يحمله ثم يرميه) ولكن قلت انه ولي ، وله مريدون ..

الزوجة ـ هكذا كان يقول لي ، ولكن من يصدق رجلا مات .. حين تعود ستجد النفس جاهزا ، ورائحته .. تفتح الروح . واذا كنت تحب ان تدخنه على الخضار فيمكنك ان تجلس في الحديقة امام البركة وتتفرج على السمك يلعب .

الحشاش ـ (والها) كفى .. يا ستي ، كفى .. يكاد يغمى عني .. سأنتهي منه بأسرع مما تتصورين .

الزوجة ـ احسدك والله ، على هذه الهواية . الا تحسده يا نبيه ؟

نبيه ـ طبعا ، احسده .. يعني .. احسده

الزوجة ـ لا تنس ان تعمق الارض قبل دفنه ، انه ماكر وله طريقة فظيعة في الهرب من القبور .

الحشاش ـ لن ننفعه طريقته الفظيعة هذه المرة ..

الزوجة ـ ولكن كن حذرا .. لا تلفت الانظار اليك .. لاننا دفناه امس ولا احب ان اقيم له جنازة ثانية ، ان ما بقي معي لا يكاد يكفي ثمن نفسين من الحشيش الممتاز ، وانت اولى به .

الحشاش ـ حقا .. الحي افضل من الميت . حتى ولو كان الميت وليا لا يدفن (يضحك) هاتي الكيس .. سأرسله رأسا الى الجحيم .

المشهد السابع

الحشاش ـ (ملابسه جديدة ويدخن سيكارا ، وبيده سوط .. ظهر عليه الانهاك) هذا النوع الرديء !! كيف تصبر على تدخينه؟

نبيه ـ سنجد لك احسن منه ، انه ..

الحشاش ـ (يرميه ويدوسه) نوع تافه.. لا ادري لماذا احس بالمرارة حين ادخنه ..

الزوجة ـ لانك لم تذق طعاما منذ الصباح. هل تأكل شيئا ؟

الحشاش ـ طعامكم لا يفيدني .. كأنه طعام مسموم .. واظنه هو الذي قتل والدك .

الزوجة ـ لا .. والدي مات ميتة طبيعية.

الحشاش ـ هذا ما اردت ان اقوله : انه مات ميتة طبيعية . اذا دارت حول مصدر الطعام شبهة فانه ..

نبيه ـ شبهة !! انه اشرف طعام تناولته في حياتك .

الحشاش ـ اشرف ؟! هه .. ان معدتي هضمت الشرف من اول وجبة وابرزته ايضا. ها . ها .

نبيه ـ انتبه الى كلامك ، لست تحت الجسر الان .

الحشاش ـ تحت الجسر مثل فوقه .. ولكنك تجد هناك على الاقل ، صحبة مسلية.

الزوجة ـ لماذا لا تتحدثان عن موضوع مفرح ؟

الحشاش ـ موضوعنا مفرح الى درجة لئيمة ، إلا ترين هذا ؟

نبيه ـ بعض الناس يصابون بفقد الذاكرة بعد ايام من النعمة .

الحشاش ـ هذا خير لهم ، لئلا يقارنوا بين الاشياء . ومصيبتي اني قارنت كثيرا . زرت اماكن لم اكن اتصور وجودها ، اول رحلة ..

الزوجة ـ نعم .. ولا نريد ان ..

الحشاش ـ ان حديثي قد يزعجك ، ولكنه ظريف رغم ذلك ، افرضي اني سائح اميركاني يقص عليك ما رأى .. هذه فرصة لا تتاح لك كل يوم . اول رحلة قمت بها كانت الى مقبرة « الصالحين » حيث رفست برجلي اعتى قبر صادفته ورميت بالمرحوم فيه ، ثم قذفت فوقه شاهدتين . رحلة نظيفة كما ترين . اما الرحلة الثانية فكانت ممتعة ولكن رائحتها خبيثة . ان المجاري حين تتجمع لا تصنع منظرا يستحق المشاهدة . ولكن ماذا افعل ؟ رميت بالكيس فقاص الى القمر وهو يصنع فوق السطح فقاعة نتنة .

نبيه ـ خدثتنا عن كل هذا فلماذا تعيده ؟

الحشاش ـ احكي ذكرياتي . هل تريد ان تحرمني هذه المتعة ؟

نبيه ـ لا أجد في حديثك شيئا ممتعا .

الزوجة ـ انه .. يمكنك .. لو تحكي شيئا اخر .

الحشاش ـ لم اوهب سعة الخيال .. وحياتي تحددها هذه الرحلات ، وهي ليست مملة كما تتصورين ، فالرحلة الثالثة كانت لا تخلو من الاثارة . عرفت موقد حمام رائعا تشتعل النار فيه ليلا نهارا ، فغافلت الاجير ورميت والدك المرحوم فيها .. ولم انصرف حتى سمعت انفجار معدته ..

نبيه ـ انت حيوان شرس .. لا تريد أن تخرس ؟

الحشاش ـ ولماذا اخرس اذا كان يلذني الحديث ؟!

الزوجة ـ اوه .. دعه يتحدث .. من حقه ان يحكي حياته .

نبيه ـ هذه ليست حياة ، انها قاذورات !

الحشاش ـ وانا اقول كذلك .. ولكن ماذا افعل ؟ انها حياتي ولا يمكنني التخلص منها . ان حياة المرء تكون جحيما حين لا يستطيع التخلص من شيء يزعجه .

نبيه ـ وتقول هذا في وجهي !! استأجرتك لتخلصني من الجثة ولكنك لا تفعل ..

الحشاش ـ ماذا افعل اكثر من ذلك ؟هذه ليست جثة ، انها شيء .. شيء مجهول .

الزوجة ـ ابذل قليلا من الجهد ، لعلك اذا اخذته الى ..

الحشاش ـ وزني نقص عشرين كيلو . كنت اتوقع ان اسمن ولكن ..

الزوجة ـ حاول مرة اخرى .

الحشاش ـ لم تسمعي بقية الرحلات لتعرفي . انها لا تدعو للفخر اطلاقا .

الزوجة ـ هذه الخطرة فقط .

الحشاش ـ كل خطرة تقولون : هذه الخطرة فقط . هذا رجل لا يدفن . كنت اعلم انكما تكذبان علي ، ولكن وجدت انه حقا لا يدفن . اضعه في اقذر المواضع وارجع .. لاجده قد سبقني . بدأت اعتقد انه حي لم يمت .

الزوجة ـ ما هذا الكلام ؟!

الحشاش ـ هذه المدة الطويلة كانت كافية لان تنعفن الجثة ، على العكس اشم رائحة الطيب تنبعث من اكفانه .. لم انظرا الى كفنه ! انه ابيض لم تنله نقطة قذارة واحدة .. لا بد .. لا بد ان قلبه نظيف مثل كفنه.

الزوجة ـ بدأت تصدق اكاذيبنا !!

الحشاش ـ انه لا يدفن..انه لا يموت. واصارحك باني كنت اطعنه بهذا الخنجر في قلبه .. كنت اطعن رجلا مقدسا مثله .تصوري اخلاصي في الخدمة .

نبيه ـ لا ادري ما هذه اللعنة ؟ كأنما كتب علينا أن نقوم من ورطة لنقع في غيرها .

الحشاش ـ انها لعنة حقا . لا يمكن ان يكون رجوعه بغير سبب . انه يصر على شيء ما .. كأنه دائن يطالب بدين قديم .

الزوجة ـ (وجلة) دائن ؟

الحشاش ـ شيء من هذا ..

نبيه ـ (ثائرا بخوف) ولكني .. ولكني.. لم استدن من احد . أنا لا اقترض ، لا يمكن ان اقترض . انني غني .. غني لا احتاج الى احد . هل تفهم معنى أن تكون غنيا ؟

الحشاش ـ ربما .. ربما لا افهم ، ولكن لا علاقة لي بهذه القضية . فقد نالني منها ما كفاني .

الزوجة ـ ولكنا دفعنا لك .

الحشاش ـ ودفنته لكم على قدر مالكم .

الزوجة ـ ادفنه مرة واحدة .

الحشاش ـ لا يمكن ان اعاود ولو من اجل حشيش العالم كله . (يخلع الجاكيت) هذه ثيابكم ، وهذه جثتكم . اذا احتجتم الى شيء بعد الان فلا تبحثوا عني تحت الجسر ، لاني .. لن اكون هناك .

(يخرج)

نبيه ـ ماذا نفعل ؟

الزوجة ـ فعلنا كل شيء .. الان تفوح رائحته وتجمع علينا الجيران .. ما هذه الفضيحة !!

نبيه ـ (ينادي) يا طم طم ، طوطو ، يا عبدو ..

الزوجة ـ لماذا تدعوهم ايضا ؟

نبيه ـ ساتولى الامور بنفسي . اسلمنا انفسنا للغريب فانظري ماذا فعل بنا !! نهب اموالنا ولبس ثيابنا ، ثم بزق في الصحن الذي اكل منه ومشى ..

الزوجة ـ يجب ان نبحث عن رجل غيره (تلتفت الى الجمهور) انت هناك .. هل تدفنه لنا ؟ لا تخف منه انه عجوز لا يؤذي . وهو ولي طيب ، ولكنه جبان يخاف ان ينام في الجبانة وحده . اذا اقنعته بان يتركنا فسوف اعطيك كل ما في هذه الجرة.موافق. ها ؟ هذا خير لك من الجلوس في الصالة هكذا .. تتفرج على مصايب الناس .

نبيه ـ لا تتحدثي مع الغرباء .. « بدك تفضحينا مع ها الجماعة كمان » ؟!

الزوجة ـ هؤلاء ليسوا غرباء ، عرفوا المسألة وما عاد يخفى عليهم شيء .

نبيه ـ قلت لك : ساتولى الامور بنفسي.. (منتفخا) يا طم طم .. اذا غضب نبيه بك فيا ويل الناس من نبيه بك اذا غضب . يا عبدو .. هل يعجزني عجوز في اكفان عتيقة؟! لست نبيه بك اذا لم اجعله عبرة لمن اعتبر.. ساحرقه .

الزوجة ـ (بصوت رتيب) احرقه الحشاش قبلك .

نبيه ـ ساغرقه .

الزوجة ـ أغرقه الحشاش قبلك

نبيه ـ سـ .. سـ .. ساجعله عبرة لمن اعتبر . انك لا تعرفين زوجك جيدا . اذا غضبت فاني ازلزل الجبال ، واحرق السهول، والتهم الاخضر ...

الزوجة ـ (تضحك برقاعة) .. وتنكش اسنانك باليابس .

نبيه ـ تضحكين !! انت لا تعرفين طبيعة الدم الذي يجري في عروقي . انا من سلالة مختلفة . انني من عائلة مقدسة ولا يمكنها ان تصبر على الهوان .

الزوجة ـ اتركه يسكن معنا ، فقد تعودنا عليه .

نبيه ـ انا اسكن مع جثة ؟!

الزوجة ـ الواقع اننا نعيش معها .

نبيه ـ والجيران ، اذا شموا الرائحة ؟

الزوجة ـ لن يشموا ، رائحتها لا تفوح .

نبيه ـ غدا تفوح .. انها جثة عنيدة،وتفعل كل شيء لاغاظتنا . يا طم طم ، يا عبدو ، يا طوطو !! اين هؤلاء الاغبياء .

(يدخل الثلاثة)

عبدو ، احمل هذا الكيس الى السيارة. وانما ساعداه على حمله . ضعوه في البكاج ولا تلفتوا اليكم الانظار . هيا .. ماذا تنتظرون ؟

السائق ـ ننتظر ان تفرغ من هذيانك ... كاننا لا نعرف ما بداخل الاكفان ؟!

نبيه ـ تعرفون ؟!

طم‌طم ـ المسكين .. طول الليل كنا نسمع انينه .. يخرب ديارك ، عذبته عذاب الكفار !!

الزوجة ـ وانت تعرفين ؟!

طوطو ـ انينه وصل حتى مسامع الاموات.

طم‌طم ـ (يأخذ سكين المطبخ من حزامه وينحني على الاكفان يمزقها والسائق يساعده) .. هيا نخرجه من الاكفان قبل ان يخنقه الهواء الفاسد .

نبيه ـ (يمسك يده) اتركه .. انك في بيت عائلة محافظة ، ولا يمكن ان اسمح بانتهاك حرمة ميت في بيتي . اين تتصور نفسك ؟

طم‌طم ـ (يهدده بالسكين ، فيقفز نبيه الى الخلف قفزة تجعله بين احضان زوجته) ابتعد قبل ان الوث الارض بدمك . عذبته هذه المدة الطويلة وجئت الان تتظاهر بالبراءة .

نبيه ـ انا ؟ لقد تصدقت عليه ، لقد اطعمته .. لقد اطعمتكم جميعا . كنت دائما اتصدق عليكم واطعمكم ..

طم طم ـ وهذا ما آذاه .. انه طعام الصدقة الذي خم في امعائه .

السائق ـ يلزمه غسل للمعدة . يجب ان نطهر احشاءه من خبز الصدقة .

نبيه ـ لا يمكن ان تفعلوا شيئا دون ارادتي ..

الزوجة ـ اتركهم يا نبيه .. هؤلاء توحشوا

.. الا ترى عليهم هيئة المجرمين ؟ (يخرج من الاكفان شاب بثياب العمال .. اضاءة شديدة .. السائق وطم طم وطوطو يساعدونه على النهوض ، وينفضون عنه الغبار)

نبيه ـ انظري .. ليس الذي دعوته .. انه شخص اخر .

الزوجة ـ يا الهي !! لقد صار شابا .. ليس عجوزا على الاطلاق .

نبيه ـ تأخرنا في دفنه .

الزوجة ـ اه .. لقد نضج في الاكفان هذه المدة الطويلة .

(الاخرون يصافحون الشاب وهو يبتسم متعبا كأنه مقبل من سفر بعيد)

طمطم ـ والله يا اخي ، خفنا عليك في هذه الاكفان .

السائق ـ كنا نعرف ولا نجد الشجاعة . الحمد لله ، نجوت في الوقت المناسب .

طوطو ـ والله ، قلبي تقطع عليك وانت تتحمل العذاب .

(الزوجان متكومان في ناحية)

نبيه ـ الخونة .. انهم يعرفونه .

الزوجة ـ وتآمروا علينا .. من يصدق هذا !! (لطوطو) انت مفاصلك متيبسة ولا تستطيعين الانحناء ؟!

طوطو ـ هذه وراثة يا ست .. كل عائلتي مفاصلهم يابسة ولا يستطيعون الانحناء .

نبيه ـ (لطمطم) انتبه .. سالفي عقدك . ولن اجدده ولو ركعت امامي ..

طمطم ـ خذ .. هذا هو العقد .. انقعه واشرب « ميته » .. ساتركك الى ملاعق السمن تدهنها على مهلك كما تشاء .

الزوجة ـ (للسائق) حتى انت يا عبدو؟

السائق ـ نعم يا كليوباترا .. لقد سئمت السواقة بيد واحدة . ثم انهم بحاجة الى سائق هناك . هيا يا اخوة .. الاخرون في انتظارنا .. تأخرنا عليهم كثيرا .

طم طم ـ هيا .. افسحا الطريق .

(يخرجون)

نبيه ـ (يحاول أن يلحق بهم فتمسكه زوجته) .. اتركيني افتك بهم .

الزوجة ـ دعهم يذهبون ، خلصنا من شرهم .. الم تسمع ؟ انهم اعضاء في عصابة رهيبة .

نبيه ـ لا يمكن ان يفلتوا بهذه البساطة . لا بد ان اضرب واحدا منهم فاسبب له عاهة مستديمة .

الزوجة ـ حرام يا بك .

نبيه ـ رفع السكين في وجهي . هذه اهانة .. اهانة لدم الاجداد الذي يجري في عروقي .

الزوجة ـ معليش يا بك .

نبيه ـ (بصوت باك) هل ابلع الاهانة بهذه البساطة ؟!

الزوجة ـ ابلعها يا بك .

نبيه ـ لقد انهدم النظام .. انهدم كل شيء .

الزوجة ـ سلمت لنا الجرة .. انهم لم ينتبهوا الى الجرة .

نبيه ـ اه الجرة ؟! لقد استيقظ صاحبها الان .. والشيطان وحده يعلم ما سوف يفعله . اه صدري .. صدري يؤلمني .

الزوجة ـ الم تقل انك شفيت ؟

نبيه ـ حين كان في الكفن كنت في صحة جيدة .. اما الان .. اه . (يمشي وهي تسنده) الملعون خدعنا .. كلهم خدعونا .

الزوجة ـ نعم ، نحن ضحية خداع .. خداع رهيب .

نبيه ـ هذه ليست حياة .. انها غابة .. غابة متوحشين .

ستار

نديم خشفة

المراثي

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٢٧ ـ

وعلى شاطئها امضغ ملحا وهجيرا
وبنافورتها أنعس يوما واضيع ..

***

ها انا اغرق في بحر التجاريب التي تغرس في
قلبي نصلا بعد نصل
أشرب الارض اساطير دماء
ونوافير غناء
وانا مغرورق العينين رعبا وغراما وسرورا
في انتظار الموسم الطيب ان يملأ قلبي بالثمار
في انتظار الارض ان تملأ روحي بالاساطير الحرار
علني تدركني رحمة موتي

فأرى وجهك ينشق من الليل نهارا
وأنا اسقط ما بين يديك
أسند الرأس الى منكبك الرحب والقى
ثمر الارض اليك
وأرى في لون عينيك قناديل السلام .

***

أمهليني واطرحي مزهرك الصامت .. كوني في انتظار
وخذيني في الليالي القمرية
عندما يثقلني الشعر ويأتي موسم يملأ روحي
بالاساطير الحرار ..